كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

محاضرات في مقياس سوسيولوجياالرابط الاجتماعي د. تالي جمال
عنوان الليسانس: علم اجتماع اسم الوحدة: أساسية الرصيد:5 المعامل:2

المحاضرة الأولى: الحداثة، وأسئلتها.

" لا ريب في أن الحرية إذا ذهبت تذهب معها الشجاعة

تمهيد:

تتمثل الحداثة في كل من الاقتصاد، والسياسة، والدين، والعلوم، والفنون، والأدب، وهي من أبرز معالم الحضارة، إذ تتعارض مع التقليد، ويشمل مفهومها التطور التاريخي الكامل، وتتمثل بالثورة على التراث والتقليد، وتكمن مهمة التقليد في الحفاظ على الماضي والعادات والتراث، على عكس الحداثة التي تهتم بالتقدم وكل ما هو جديد دون النظر إلى الماضي بهدف التغيير الذي يعتمد على القيم الجديدة وخوض المغامرة، والاتجاه إلى المستقبل، ولا يعني ذلك الهروب من الحاضر، بل تأكيد ًا على الحاضر.

ويطلق مفهوم الحداثة على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة الى اليوم، حيث تشمل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والادبية، حيث أدخل التقدم المستمر للعلوم والتقنيات وثورة التكنولوجيا الى الحياة الاجتماعية عامل التغير المستمر والصيرورة الدائمة والتي أدت الى انهيار القيم والمعايير الثقافية التقليدية.

في ظل تلك الصيرورة الاجتماعية بمختلف اتجاهاتها تحدد السياق العام لمفهوم الحداثة بوصفه ممارسة اجتماعية ونمكط من الحياة يقوم على أساسي الابتكار والتغير.

مفهوم الحداثة في علم الاجتماع:

إن أكثر اللحظات أهمية في التاريخ الفلسفي، هي تلك اللحظات التعبيرية الحداثية والتي يكشف فيها عن منطق جديد، كالفلسفة النقدية لكانط، والمثالية الكلية لهيغل والظاهرية لهوسرل والتأويلية البنيوية والتفكيكية لميشال فوكو.

والحداثة من المفاهيم الغامضة في الفكر الغربي ولعلها تشتد غموضا في الفكر العربي على رأي على وطفة. فهي إشكالية فكرية تتطلب مزيدا من الجهود لتحديد مضامينها وتركيبتها وحدودها. فالحداثة ليست الحاضر، وليست الزمن الحديث،أو المرحلة الراهنة.

هي فترة زمنية من الحياة تتميّز بنشوء التفكير العلمي، والفرديّة، وزيادة التركيز، والاهتمام بالتصنيع، والتطوير التقني، وعدم قبول العديد من القيم التقليدية الشائعةكما ارتبطت بالموضوعيّة الفردية، وتقليل التركيز على القيم الدينية على اختلافاتها، وبروز البيروقراطية والدول القوميّة، والتسارع، وتواصل التبادل الاقتصادي، أي تُعبر **الحداثة عن الانتقال من المجتمع البدائي إلى المجتمع الحديث.**

اذن فالحداثة تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، ونسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات، وحسب غيدنز فالحداثة تعني نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة التي هيمنت فيها التقاليد والعقائد الشمولية.

للحداثة مفهومين مركزيين فكرة الثورة ضد لتقليد، وفكرة مركزية العقل.

يعر ّف جابر عصفور الحداثة بأنها البحث المستمر للتعرف على اسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف اسرار الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء بالإنسان.

أما سياسيا واجتماعيا فهي الصياغة المتجددة للمبادئ والانظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة الى مستوى الحرية، ومن الاستغلال الى العدالة، ومن التبعية الى الاستقلال ومن الاستهلاك الى الانتاج.

من سيطرة القبيلة والطائفة الى الدولة ومن الدولة التسلطية الى الدولة الديمقراطية.

سمات مجتمع الحداثة:

كانت هناك محاولات عديدة، لا سيما في مجال علم الاجتماع، لفهم ما هي الحداثة حيث أن معظم الحياة الحديثة التي نراها حولنا هي نتاج مصادر متعددة تغذت منها حتى أصبحت بشكلها الحالي، وتستخدم مجموعة واسعة من المصطلحات لوصف وشرح المجتمع والحياة الاجتماعية والقوة الدافعة أو بعض الجوانب الأخرى المحددة للحداثة ومنها:

- البيروقراطية :الشخصية الهرمية الاجتماعية التي تمارس تقسيم العمل وتتميز بانتظام الأسلوب والإجراءات.
- خيبة الأمل في العالم: فقدان المفاهيم المقدسة والميتافيزيقية من جوانب الحياة والثقافة.
- الترشيد:يمكن فهم العالم وإدارته من خلال نظام معقول ومنطقي للنظريات والبيانات التي يمكن الوصول إليها موضوعي ًا.
- العلمانية :فقدان التأثير الديني أو المعتقد الديني على المستوى المجتمعي.

- الاغتراب: عزل الفرد من نظم ومضامين الأسرة، العمل الهادف، الدين، العشيرة، الخ.

- الفرديةزيادة أهمية الأفراد بدلاً عن الهياكل الاجتماعية مثل الأسرة، العشيرة، الأكاديمية، القرية، الكنيسة.
- القومية:ارتفاع الدول القومية الحديثة كحكومات مركزية عقلانية غالباً ما تعبر المجموعات المحلية والعرقية.
- التحضر: انتقال الناس والمراكز الثقافية والنفوذ السياسي إلى المدن الكبيرة.
- الموضوعية: الانتقال إلى داخل التعريفات والتقييمات الحقيقة والمعنى

.

- التقدم بخطوط: هي أشكال التفكير التي تشدد على الافتراضات وما ينتج عنها من سلاسل من المقترحات.
- العالمية: تطبيق الأفكار لجميع الثقافات بغض النظر عن الفروق المحلية.
- المجتمع الجماهيري: نمو المجتمعات التي توحدها وسائل الإعلام ونشر الممارسات الثقافية على نطاق واسع بدلاً من تفاصيل الثقافة المحلية والإقليمية.
- المجتمع الصناعي: الجمعيات التي شكلت حول الإنتاج الصناعي وتوزيع المنتجات.
- التجانس: القوى الاجتماعية التي تميل نحو توحيد الأفكار الثقافية والمنتجات.
- التحول الديمقراطي: النظم السياسية التي تتسم بالانتخابات الحرة، والسلطات القضائية المستقلة، وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان.

- الميكنة: نقل وسائل الإنتاج من العمل البشري إلى التكنولوجيا المتقدمة.
- التوتاليتارية: الحكومات المركزية الحزبية التي تقمع حرية التعبير والمعارضة السياسية.
- الدوافع العلاجية: فهم أن الذات البشرية هي نتاج رغبات تطورية، وأنه ينبغي مساعدة الذات في تحقيق تلك الرغبات بدلاً من مشاريع التحسين الأخلاقي أو السعي لتحقيق الفضيلة العامة.

وغالباً ما تتميز الحداثة بمقارنة المجتمعات الحديثة بالقديمة، وفهم هذه الأوضاع الاجتماعية غير الحديثة، ويمكن **الشك** في إمكانية وجود مفهوم وصفي يمكن أن يلائم على نحو كافة الحقائق المتنوعة للمجتمعات في سياقات تاريخية مختلفة، ولا سيما غير الأوروبية، ناهيك عن نموذج من ثلاث مراحل للتطور الاجتماعي من مرحلة ما قبل الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

الحداثة والمجتمعات العربية:

بعيد استقلال الدول العربية تباعاً عن المستعمر الغربي أواسط القرن الماضي بدأت محاولات **تحديث**[1] جادة في بعض الدول العربية على مختلف الصعد، ففي الجزائر مثلا اتحد المجتمع دولة وشعبا سنوات السبعينات على فكرة التحديث وصياغة مشروع مجتمع يكون له وجوده ويعلن عن نفسه بعد عشرين أو ثلاثين سنة، كمجتمع متطور ومتقدم من خلال ثورات ثلاث؛ الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية. لكنها ثورات ولدت ميتة.....

و لم ترق كل المحاولات العربية إلى الحداثة وكانت في جلها محاولات مبتورة، غير كاملة ولم تترافق بتغيير على مستوى البنية العميقة للمجتمع إلا بحدود دنيا غير مؤثرة على المستوى الجمعي.[2].

هذا ما جعل المنطقة العربية عينة مثالية لتصدير بدعة الاستهلاك وصور الثقافة المتدنية إلى الأسواق المحلية والمجتمع، ويبدو المشهد اليوم وكأننا نعيش السمات الرثة لما بعد الحداثة ولم نكمل حداثتنا بعد!

وعلى عكس "**التذوتن**" بالمعنى الإيجابي الذي قدمه تورين، يبدو أننا تحولنا إلى ذوات مشروخة، متذبذبة ومتناقضة، مسلوبي الإرادة الحرة على الفعل الحي والمشاركة الفاعلة، في صراع دائم مع ذواتنا للإمساك بتلابيب التوازن الخلاق الباعث على السكينة، وتحويلها إلى لحظات تدوم إلى الأبد!

هنا يبدو تعريف الحداثة كما بدأنا به قاس ومتطلب فوق المستطاع، متطلب إلى حدّ الكمال. فأنت في المشرق العربي يمكن أن تكون ذاتاً واعية جاهزة للعب دورها الاجتماعي في الفعل والتأثير، لكن" لا يوجد لاعبون"، بمعنى غياب البيئة المشجعة على العمل الخلاق الذي يؤدي إلى تغيير إيجابي في المجتمع.

هل تكون الحرب والفقر والمرض فرصة لتحرير الإرادة وتموضعها في فعال وسلوكيات أكثر حضارة وديمومة؟

يقول مثل صيني:" الله يهب الجوز، لكنه لا يقشره" وقيل يوماً :" إذا فقد الأمل، يجب اختراعه."

يقول هيغل في أصول فلسفة الحق: الدولة ليست تعاقداً بين الأفراد،إنها الحقيقة الواقعية العليا"...

أسئلة تقويمية:

ما خصائص المجتمع الحداثي؟

وهل للمجتمعات العربية حداثتها؟

المراجع:

علي وطفة: مقاربات بين مفهومي الحداثة ومابعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، المغرب، عدد 43، 2001.

آلان توران: الحداثة والمجتمع:https://www.almayadeen.net/essays